

النحو الجامع في النحو العربي

م.د. غانم عودة شرهان

مركز إحياء التراث العلمي العربي/جامعة بغداد

المقدمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم و لا تكلم لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كان افصح الناس لسانا و اوضحهم بيانا .

أما بعد

فان اختياري لهذا الموضوع حباً في التعرف عن المدرسة البغدادية ولسهولته والتعرف عليها في الكتب الاخرى وان بناء البحث وخطته قد اقتضت ان يقوم على تمهيد ومباحث ثلاثة وقد اختص المبحث الاول عن نشأة المدرسة البغدادية وكيف نشأة الدراسات بها .

اما المبحث الثاني فقد اختص بمؤسس المذهب البغدادي .وقام المبحث الثالث على موقف القدماء والمعاصرين من المدرسة البغدادية

فضلا عن الخاتمة التي حملت اهم النتائج التي توصل اليها البحث وقد اعتمدت على اهم المصادر التي تعني بتاريخ النحو والنحاة والمدارس النحوية مثل

-المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي

-النحو العربي مذاهبه وتيسيره

Center Revival of Arabian Science Heritage–University of Baghdad

Dr. Ghanim A. Sharhan

drghanim@gmail.com

Comprehensive grammar in Arabic grammar

Conclusion:

This research is about a third grammar school that appeared on the stage of Arabic grammatical history in Baghdad. It is the Baghdadi school. I talked about the first study about the origin of Baghdad city and how the studies originated in Baghdad and it was founded by the Islamic studies scholars and the books of literature, language and grammar in Baghdad. The doctrine of Baghdadi and how different scholars in that and the flags of the doctrine of Baghdadi, said the son of Kisan spoke about the origin and views of grammatical and spoke in the third section on the position of ancient and modern Baghdadiya school Vafzm denied the existence of the school and others proved existence. As for my opinion on this subject, the

grammatical studies originated in Basra and then appeared in Kufa and the Baghdadi school took the grammar from the visual school and the kufiyya, and it is clear to us that there is no Baghdadi school in charge of it. The Whole

التمهيد

لم يؤثر عن القدماء مصطلح "مدرسة" بمعنى المذهب النحوي عند حديثهم عن المذاهب النحوية ومن ثم لم يرد عندهم مصطلح "المدرسة البصرية" او "المدرسة الكوفية او "المدرسة الاندلسية" (١) وقد استحسن الباحثون مصطلح "المدرسة" بمعنى المذهب النحوي، وقد كانوا في ذلك متأثرين بالغربيين الذين شاع عندهم هذا المصطلح بهذا المفهوم ، لاسيما في الدراسات الادبية الفنية فكان عندهم "المدرسة الكلاسيكية، والرومانيكية، والرمزية" (٢) فاستعمل مصطلح "المدرسة" عند المعاصرين في الدرس الأدبي فورد مثلا عند الدكتور طه حسين ما يعرف بـ"مدرسة اوس بن حجر" (٣)

مفهوم المذهب والمدرسة :

اولا :- مفهوم المذهب :

المذهب مصطلح في بدايته فيقال :مذهب الامام الشافعي او مذهب الامام مالك او مذهب شيخنا (٤) وقد انتقل الى اللغة حيث اصبح يعبر عن مجموعة مبادئ وآراء متصلة لمفكر لاتجاه ما (٥) وفي التعريف الدقيق :هو طائفة من اولي العلم الواحد تعتنق مذهباً نحويًا وتقول براهي نحوي مشترك وتجمعهم وحدة اصولية ومناهج البحث فيه وان تعددت اوطانهم واختلفت اجناسهم ومهما تنوعت شخصياتهم وتباعدت اراؤهم في الفروع (٦)

ثانيا :- مفهوم المدرسة :

عرف المعجم الوسيط "المدرسة" بقوله : "المدرسة جماعة من الفلاسفة والمفكرين او الباحثين التي تعتنق مذهباً معيناً" (٧) وعرفها "جوتلد فايل" المدرسة بانها : "الاشترك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ويربط العلماء بعضهم ببعض على راي واحد" (٨) وقد اخذ بهذا التعريف محمد آل ياسين في كتابه "الدراسات اللغوية عند العرب" حيث يقول : "المدرسة في المصطلح العلمي لفظ يطلق على جماعة من الدارسين تشترك في وجهة النظر ويكون لها منهج خاص، ويرتبط افرادها برباط الرأي الموحد" (٩)

المدارس النحوية :

اولا : المدرسة البصرية :

اشتهر في البصرة مركزان قاما بنشر الثقافة والدعوة اليها وترغيب الناس فيها وكانا صدى اشعاع في هذه البلاد الاسلامية التي بقيت ملتقى التجار ومجمع العلماء ومركز الحضارة^(١٠) وفي هذين المركزين الثقافيين اختلطت الافكار العربية الاسلامية بالحضارات الاجنبية^(١١) وقد اتضحت الثقافة العربية الاسلامية اتضحاً بيناً وكانت هي الغالبة لان القرن عربي وطابع الحكم فيها عربي وهذان المركزان هما المسجد الجامع والمريد^(١٢) كانت البصرة سابقة الى وضع النحو وترسيخ اصوله واطراد قواعده وكانت عناية المعتزلة بالثقافات العربية وبالنحو فائقة لانهم دعاة مقالة ورؤساء نحلة ، ووجد الناس على اختلاف اجناسهم في النحو ما يحقق لهم هذه الرغبات فاقبلوا على دراسته^(١٣)

وذهب الدارسون الى ان البصريين اخذوا بالقياس كما اخذوا بالسماع وحملوا كثيرا من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع في انها شاذة او انها ضرورة^(١٤) التزم البصريون بالرواية الموثقة وكانو يتشددون في فصاحة الرواة ومال البصريون ولاسيما المتأخرون الى التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر وايعالهم في التعليل متأثرين بالمنطق وعلم الكلام^(١٥)

وقف البصريون بحذر شديد من القراءات وطعنوا على عدد منها لان القراءات تمثل لهجات مختلفة لاينبغي اهدارها او انكارها او ابطالها^(١٦) كان البصريون ينزلون عددا من القواعد والمبادئ الاساسية يرجعون اليها في كل ما يخالفها بالتعليل العقلي ويرمون ما استعصى على التعليل بالشذوذ^(١٧) ومن رواة المدرسة البصرية أبي الاسود الدؤلي ، عبدالله بن اسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء والخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه والمبرد^(١٨)

ثانيا :- مدرسة الكوفة :

كان في الكوفة مراكز ساعدت على نشر الثقافة ونموها وازدهارها فقهية كانت ام لغوية ام نحوية ام ادبية وقد كانت بداية العلم في الكتاتيب التي تعلم القراءة والكتابة والقرآن ثم تعلم اللغة والنحو والصرف^(١٩) وكان من اشهر هذه المراكز هما : مسجد الكوفة ومجالس المناظرة وايضاً دور الخفاء والاعنياء من اهل الكوفة التي كانت مركزا لنشر العلم والثقافة على اختلاف علومها المعروفة آنذاك^(٢٠)

بدأت المدرسة الكوفية عند القدماء بابي جعفر الرؤاسي وكان قد اخذ النحو عن ابي عمرو العلاء وعيسى بن عمر الثقفي فهو في نظرهم بمنزلة الخليل في البصرة^(٢١)

يبدأ النحو الكوفي بدءاً حقيقياً بالكسائي وتلميذه الفراء فهما اللذان رسما صورة النحو ووضعاً أسسه وأصوله واعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري (٢٢).

اعتمد الكوفيون على الشعر الموضوع وعلى الشعر المنسوب لغير قائله دون ان يهتموا بالتحصيل كذلك اكتفوا بالشاهد الواحد بينون عليه حكمهم ويستنبطون القاعدة منه (٢٣) وكانوا يعنون بالقياس وقد توسعوا فيه واخذوا به ومن رواة المدرسة الكوفية الكسائي والاصمعي وابن جني وابن السكيت (٢٤)

نشأتها :

تكاد جميع الروايات تجمع على ان بغداد قبل ان ينشئها المنصور ارضاً خراباً خالية من السكان وكان حول مكانها قرى عديدة فكان الى جانب باب الشام قرية يقال لها الخطابية (٢٥) وكانت هذه القرية لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة وبنو قنورا وكانت بغداد نفسها سوقاً يقصدها تجار اهل الصين بتجاراتهم فيريحون الريح الواسع (٢٦)

وذكر الطبري في تاريخه ان المدينة كانت قبل بنائها مزرعة للبيدانيين يقال لها المباركة وكانت لستين شخصاً ولما عزم المنصور على البناء عوضهم عنها وارضاهم (٢٧) كانت بغداد قبل تمصيرها قرية قديمة بناها بعض ملوك الفرس وتقع على الشاطيء الغربي لنهر دجلة فاعجب المنصور بموقعها وقرر بنائها (٢٨)

وعندما بدأ بالبناء احضر المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم فمثل لهم صفتها التي في نفسه ثم جلب الصناع من نجاريين و حفاريين وحداديين من بلاد الشام والموصل والكوفة وواسط والبصرة (٢٩) وجعل المنصور مدينة بغداد مدورة . بثمانية ابواب اربع منها داخلية صغيرة واربع منها خارجية كبيرة منها باب البصرة والشام وخرسان والكوفة وعلى كل باب من هذه الابواب مجالس وقياب مذهبة (٣٠)

وقسم المدينة الى اربعة اقسام جعل في كل منها رئيساً وعهد الى كل رئيس منهم اقامة سوق في القسم الذي يشرف عليه (٣١) وامر المنصور ان تخط الشوارع والدرج بحيث تكون المباني منتظمة وان يسمى الشارع او الدرب باسم القائد وجعل الجامع وقصره في وسطها (٣٢) وسرعان ما انتشر العمران وكثرت المساجد وقد تطورت بغداد سريعاً وظهرت نهضتها واضحة في مدة عشر سنين فراج سوقها التجاري وازدهرت ارضها بالعمران وكانت اسواقها اخلاطاً من مختلف الاجناس (٣٣) وكانت بغداد في اول امرها مدينة الملك والسلطان بها الجنود والقادة والسلطة لم تكن مهوى لرواد العلم والمعرفة (٣٤) ولما استقرت امور الدولة وفتح الخلفاء ابوابهم للعلماء

واحتفظوا بها وكرموا قادتهم طمحت انظار العلماء الى بغداد رغبة في المجد والشهرة^(٣٥) وعندما بنت بغداد على اثار القرى القديمة كانت الهجرة متوالية اليها من مدن العراق كالكوفة والبصرة وواسط والجزيرة وبهذا اختلط السكان وتقاربوا وامتزجت حضارتهم وثقافتهم وطبائعهم التي تكونت منها حضارة بغداد^(٣٦).

نشأة الدراسات في بغداد :

بدا علماء الدراسات الاسلامية والعربية بتدوين علومهم في الوقت الذي جرى فيه انشاء مدينة بغداد وتم تصنيف كتب الفقه والحديث والدراسات القرآنية في مكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة^(٣٧) دونت كتب الادب واللغة والنحو والتاريخ وايام العرب واما في بغداد فقد كانت تبدا بتصنيف الفقه فيها بابي حنيفة وتسربت الثقافة الى بغداد عن طريق علماء الكوفة وفقائها^(٣٨) وايضا تسربت الثقافة من اصحاب اللغة والنحو في الكوفة وذلك لان الكوفة اقرب الى بغداد من البصرة^(٣٩) كان اسبق العلماء رحلة الى بغداد نحاة الكوفة اللذين قريهم الخلفاء واتخذوا منهم مؤدبين لهم ولابنائهم^(٤٠) وكانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية التي كان يروج فيها العلم والادب وكان العلماء يرتحلون اليها من الاقطار كافة وكل يحمل طابع بلده الخاص^(٤١) وكان لتشجيع الذي لقيه العلماء ومنهم النحاة من خلفاء الحاضرة الاسلامية الاكثر في انتشار النحو الكوفي على يد الكسائي وتلاميذه حيث ظل مسيطرا على مجالس الدرس فيها السنوات طويلة وقد ادى هذا الى نشوء صراع بين البصريين والكوفيين^(٤٢) نشأ النحو في احضان البصرة والكوفة وتطور على ايدي علماء البلدين حتى وصل الى درجة عالية من النضج والاستقرار وذهبت البصرة بالشهرة الاولى في الميدان مع منافسة من قبل المذهب الكوفي^(٤٣) وعندما راس ابو العباس علماء الكوفة ومحمد بن يزيد المبرد علماء البصرة انتقل هذان العالمان للتعليم في بغداد وقد اشتد الصراع بين البصريين والكوفيين مما جعل الدارسون يقبلون عليها وباخذون عنهما معا^(٤٤) واخذ المذهب البغدادي في القرن الرابع الهجري يتميز بمنهاجه الخاص ولم يكن هذا المنهج جديدا من حيث الاساس او طرق الاستنتاج لكنه منهج يقوم على الانتقال من المذهب الكوفي والبصري^(٤٥)

حاول بعض الباحثين ان ينفي وجود المذهب معتمدا على ما ينظمون افرادها من البصريين وهما ابو علي الفارسي وتلميذه ابن جني^(٤٦) فكثيرا ما يطلق ابن جني على الكوفيين اسم البغداديين وكانهم مدرسة واحدة^(٤٧) اما اطلاق ابن جني اسم البغداديين على الكوفيين احيانا ترجع الى جمهور الجيل الاول من البغداديين التي كانت تغلب عليه النزعة الكوفية فسامهم الكوفيين تارة والبغداديين تارة ثانية^(٤٨) يعد ابو علي الفارسي وتلميذه ابن جني مثلا على التلمذ والنشاط العلمي وقد قدما للعربية اعمالا لا تزال تحتل مكانتها العالية في الدرس النحوي^(٤٩) كما ان

اعمال ابن جني على وجه الخصوص تمثل تقدماً كبيراً في المنهج وفي الأسلوب وقد وجد ابن جني قبولاً من أحدث مناهج الدرس اللغوي^(٥٠) وبعد هذين العالمين بدأ العلماء يتتابعون إلى بغداد مع اتجاه أقوى إلى مدرسة البصرة منهم الزمخشري وابن الشجري وأبي البركان الأنباري وابن يعيش^(٥١) ولم تكن بغداد بمعزل عن تأثير القرآن الكريم فيها غير أن المسائل العامة التي نسبت إلى البغداديين وأثر القرآن الكريم قليلة بالنسبة للمسائل العامة عند البصريين والكوفيين^(٥٢) لم يميز البغداديون بين لغة وأخرى أو يفظلون ما ورد عن قبيلة على ما ورد عن قبيلة أخرى فالغات عندهم كما هي عند الكوفيين^(٥٣) لم يخالف البغداديون البصريين في عدم التمييز بين لغات العرب فحسب وإنما كانوا يأخذون عن العرب الذين توطنوا في الحاضرة^(٥٤).

مؤسس المذهب البغدادي:

اختلف العلماء في تحديد المدة أو الحقبة الزمنية لنشأته فقسم من الباحثين ذهب إلى أنه قد ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري واتضحت سماته في القرن الرابع الهجري^(٥٥) يقول بروكلمان: "منذ القرن الثالث الهجري أخذت المدرستان المتنافستان في البصرة والكوفة تتقاربان وتتدمجان أحدهما في الأخرى بإطراد وسرعان ما غدت بغداد حاضرة الخلافة اللاحقة للحياة العقلية كافة^(٥٦) يرى الدكتور عبد الفتاح شلبي أن مذهب الكوفة والبصرة احتفظا بوجودهما المنفصل حتى نهاية القرن الثالث الهجري أو وسط القرن الرابع الهجري وحينئذ أصبحا مندمجين في المذهب الجديد في بغداد^(٥٧) يرى فريق من الباحثين أن مذهب البغداديين الذي يقوم على الاختيار يعود إلى زيارة سيويوه بغداد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حيث دخلت تعاليم المذهبين لبغداد^(٥٨) ويرى الدكتور أحمد مكي الأنصاري أن الفراء هو المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي وقد استدلل على ما ذكره أبو الطيب اللغوي من أن الفراء يخالف الكسائي في كثير من مذهب^(٥٩) ويرى أحمد أمين أن المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري إذ يقول "كان التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد سبباً في عرض المذهبين ونقدهما والانتخاب منهما"^(٦٠) كما اختلفوا في نهاية هذا الاتجاه فذهب بعضهم إلى انفراط المذهب البغدادي بعد ضعف الدولة العباسية وتغلب دولة بني بويه^(٦١) وبعضهم يجعل انفراط المذهب البغدادي في نهاية القرن السادس عشر فيجعل من رجاله أبا علي الفارسي وابن جني وقد اتفق الدارسون على تسمية هذا الاتجاه بالاتجاه البغدادي أو المذهب البغدادي أو المدرسة البغدادية^(٦٢) وقد أطلقت على (تسميته بالمنهج الجامع في النحو) ولم يستعمل مؤلفوا الطبقات مصطلح البغداديين مراد بهذا المنهج الذي جاء بعد البصريين والكوفيين وإنما كانوا يطلقون عليه مصطلح "الخلط"، "الجمع"، "المزج بين النحويين"، أو المذهبين^(٦٣). وقد وضعهم ابن

النديم تحت عنوان "اسماء واخبار جماعة من النحويين واللغويين ممن خلطوا المذهبيين^(٦٤) ثم كان من امر المحدثين ان يطلقوا عليها اسم البغداديين وكان منهم: ابن قتيبة وابو حنيفة الدنيوري وابو بكر ابن الخياط والاخفش الصغير^(٦٥) هذه جماعة كانت من نحاة اواخر القرن الثالث الهجري او اوائل القرن الرابع واذا اردنا ان نعد هؤلاء من ممثلي المذهب البغدادي يعني انهم اوائل رجال هذه المدرسة ومؤسسوها^(٦٦) غير ان بعض الباحثين المحدثين صورله الوهم بان هذا المذهب يبدأ قبل هذا بزمن^(٦٧) وان الاطمئنان الى وجود مذهب بغدادي يشوبه شيء من الحذر لان تصنيف ابن النديم وتصنيف اصحاب الطبقات لا ينهض دليلا على عد هذا المذهب قسما ثالثا لمذهبي البصرة والكوفة^(٦٨) وان احدا من اصحاب التراجم لم يدرج احدا منهم تحت راية البغدادية وان هؤلاء المترجمين كانوا مضطرين في نسبة النحاة الى بغداد وجادلهم في ذلك الكثير من المحدثين^(٦٩)

اعلام المذهب البغدادي :

ابو موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ)، الاخفش الصغير (ت ٣١٥هـ)، ابو اسحاق الزجاج (ت ٣١٠هـ)، وابو بكر محمد بن سهل السراج (ت ٣١٦هـ)، ابو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٧هـ)، وابو القاسم عبدالرحمن الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)

ان من اعلام المذهب البغدادي هم ابو علي النحوي (ت ٣٧٧هـ) وابن جني وابن شقير وابن الخياط وكان ابن كيسان والزجاجي هما ابرز من يمثل المذهب البغدادي^(٧٠) اما من اعلام المذهب البغدادي المتأخرين هم الربيعي وابو بركات بن الانباري وابن الشجري وابو البقاء العسكري وابن يعيش والرضي والزمخشري^(٧١).

أ- ابن كيسان

١- اصله : هو ابو حسن بن كيسان تلميذ لابي العباس المبرد ولابي العباس ثعلب فاطلع بذلك على المذهب البصري والكوفي وبرع في النحو وقد درس عليه عدد كبير من النحويين^(٧٢) ويعد ابن كيسان ابرز البغداديين الكوفيين واكثرهم علما واوسع شهرة وكان ابو بكر بن مجاهد امام القراء في عصره يقول: "انه كان انحى من ثعلب والمبرد"^(٧٣) وقد صنف كتبا كثيرة منها كتاب اختلاف البصريين والكوفيين وكتاب الكافي وكتاب التعاريف وكتاب المختار علل النحو في ثلاث مجلدات^(٧٤) وكان ياخذ لنفسه ثقافة منطقية عميقة ويقول مترجموه انه كان يمتاز بعدة خاطره وبعد غوصه وغرائب قياساته وانه مزج النحويين البصري والكوفي فاخذ من كل واحد على ظنه صحته واطراد له قياساته^(٧٥)

٢- اراؤه النحوية :

كان ابن كسيان يبني اراءه معتمدا على الاصول النحوية كالسماع والقياس والتعليل عنده هي نفسها التي اعتمدها الكوفيون والبصريون هي القران الكريم والشعر وما ورد عن العرب^(٧٦) وكان يميل في قياسه الى الخط الذي نهجه الاخفش الاوسط وكثيرا ما يبني اراءه على ما شذ في القياس من ذلك اجاز تمييز المائة والالف^(٧٧) ميز المائة والالف بمفرد منصوب نحو المائة دينار والالف درهما مثل قول الربيع بن ضبع الغزاري اذ يقول :

اذا عاش الفتى مآتي عاما فقد ذهب المسرة والفناء^(٧٨)

واجاز جمع الصفات التي على وزن "افعل" ومؤنثها "فعلاء" و"فعلان" التي مؤنثها "فعلى" فقال :احمرون وسكرانون قياسا على قول الشاعر^(٧٩)

فلما وجدت بنات بني نزار خلائل اسودين واحمرينا

وكان ابن كيسان مولعا بالتعليل لتوضيح مذهبه وكان يعنى بحدود النحو ويميل في مذهبه النحوي الى تجويز المذهب البصري والكوفي المختلف حول مسألة نحوية^(٨٠) ولابن كيسان اراء وافق بها الكوفيين في معظمها ووافق البصريين في البعض الاخر منها^(٨١)

أ- موافقاته للكوفيين :-

اجاز معهم تقدم خبر "مازال" عليها وما كان في معناها من اخواتها ومنع البصريين التقديم واحتج الكوفيين بان "مازال ليست نفي للفعل وانما هو نفي للمفارقة الفعل^(٨٢) واجاز معهم الغاء علامة الندية على الصفة ومنع البصريين ذلك وقد قاس الكوفيون مذهبهم هذا على اجازتهم الغاء علامة الندية على المضاف اليه^(٨٣) وذهب ايضا معهم الى ان الكاف والهاء والياء من اياك واياء هي الضمائر المنصوبة وان "ايا" عماد وذهب البصريون الى ان "ايا" هي الضمير والكاف والهاء والياء حروف لاموضع لها من الاعراب^(٨٤)

ب- موافقته للبصريين :-

ذهب مع البصريين الى ان مجمل الجملة المقرونة باللام في نحو "علمت لزيد قائم" النصب وقال الكوفيون لا موضع لها^(٨٥) وذهب مع الخليل الى ان اداة التعريف هي "ال" بجملتها فهي حرف ثنائي الوضع بمنزلة قد وهل وذهب آخرون الى انها اللام فقط والهمزة همزة وصل للابتداء^(٨٦) وقد ذهب مع جمهور البصريين الى ان اعراف المعارف هي المضمرة ثم الاعلام ثم اسماء الاشارة ثم المعرف باللام ثم الموصولات وقد ذهب الكوفيون الى ان اعرافها اسم الاشارة ثم المضمرة ثم المبهمة ثم ذو اللام^(٨٧)

وهناك خصائص اشترك بها البصريون والكوفيون ومن هذه الخصائص ١- السماع

٢- القياس

*كان للبغداديين اراء عنونة تابعوا فيها البصريين مرة واء اخرى تابعوا فيها الكوفيين مرة اخرى ومع هذا كانت لهم اراء تفردوا بها ومن ذلك الراء:

- زعم البغداديون ان (كلتا) قد نطق لها بمفرد في قول الراضي.....الخ
- زعم البغداديون انه يجوز تعريف الحال مطلقا بلا تاويل فاجازوا جاء زيد الراكب
موقف القدماء :

اول من ترجم للنحاة وتحدث عن نشأة النحو محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) ولم يتطرق الى اسم مذهب بغدادي وانما تحدث عن النحاة البصريين الاوائل، فبدأبأبي الاسود الدؤلي وانتهى بالخليل بن احمد الفراهيدي^(٨٨) وجاء ابن قتيبة الدينوري وتحدث في كتابة "المعارف" عن النحويين لكنه لم يجاوز بهم الكسائي والفراء من النحاة والكوفيين والاختش من النحاة البصريين^(٨٩) كان ابو الطيب اللغوي في كتابه (مراتب النحويين) لم يرتبه بحسب طبقات النحاة ولاقسمه الى مذاهب وانما تحدث عن البصريين والكوفيين ولم يرتبهم على مذهب وقول ابي الطيب "قلم يزل اهل المصريين على هذا حتى انتقل العلم الى بغداد قريبا، وغلب اهل الكوفة على بغداد^(٩٠) قال ابو حاتم "لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقران ولاكلام العرب و لولا ان الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره وعلمه تختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات من الاعراب مطروحة لانه كان يلقنهم مايريد وهو على ذلك اعلم الكوفيين بالعربية والقران هو قوتهم واليه يرجعون^(٩١) وانتقال العلم الى بغداد كان منذ ايام الكسائي وقد قال ابو الطيب على مدينة بغداد في موضع اخر ((اما بغداد فمدينة الملك وليست بمدينة علم وما فيها من العلم منقول اليها ومجلوب للخلفاء وانباءهم ورغبتهم ونيتهم بعد ذلك في العلم ضعيفة لان العلم جد وهم قوم الهزل اغلب عليهم واللعب املك لهم^(٩٢) فاهل بغداد عند ابي الطيب لا يقصد بهم الكوفيين والا لما سمي الكسائي "عالم اهل الكوفة وامامهم خير مدافع"^(٩٣). وجاء بعد ابي الطيب اللغوي ابو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) الذي الف كتابه "اخبار النحويين البصريين" وقد قلل من ذكر نحاة البصرة ولغويا وسماهم "مشاهير النحويين"^(٩٤) بدا كتابه بابي الاسود وختمه باصحاب المبرد وقال في ترجمتهم "ومن اصحاب ابي العباس محمد بن يزيد المبرد ابو اسحاق ابراهيم الزجاج وابن كيسان"^(٩٥) كان الزجاج اشد لزوما لمذهب البصريين وكان ابن كيسان يخلط بين المذهبين وجاء بعدهما ابو بكر محمد بن السري المعروف بمبرمان وعنهما اخذوا اكثر النحو وعليهما قرا كتاب سيبويه^(٩٦)

لم يتطرق السيرافي لاي كلام عن بغداد واهلها ولم يشير الى تسمية نحاتها بالبغداديين^(٩٧) ثم جاء الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) وقسم كتابه "طبقات النحويين واللغويين على خمس طبقات هي

البصريين والكوفيين والمصريين والقرويون والاندلسيون ولم يذكر طبقة بغداد^(٩٨) وكان المرزباني (ت ٣٨٦هـ) اول من افرد قسما من طبقاته لنحاة بغداد في كتابه "نور القبس" وقسمه على ثلاثة مجموعات "الاولى من اخبار العلماء النحاة والرواة من اهل البصرة والثانية من رواة الكوفة وعلمائها وقراءها والثالثة من اخبار العلماء والنحاة والرواة من اهل بغداد".^(٩٩) لكن المرزباني (ت ٣٨٦هـ) مدرسة بغداد لم يذكر طبقة تنتمي الى مذهب بغدادي وانما اشار الى العلماء النحاة والرواة بحسب موطنهم فمنهم من اهل البصرة ومنهم ومن اهل الكوفة ومنهم ومن اهل بغداد^(١٠٠) وتابع ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) في كتابه "الفهرست" في هذا التقسيم وقد قسم كلامه على النحويين واللغويين وفصحاء الاعراب الى ثلاث مجموعات ضمنهم المقالة الثانية من كتابه "الفهرست" وسمي كل مجموعة فناً^(١٠١) اما ابو البركات الانباري ومن جاء من بعده من اصحاب الطبقات فلم يقسموا كتبهم الى طبقات ولاسموهم باسماء البلدان ولاصنفوهم بحسب المذاهب وانما رتبوهم باحدى الطريقتين اما بحسب القدم واما بحسب الاسماء مرتبين ترتيباً الفبائياً.^(١٠٢)

موقف المعاصرين :

لقد ترددت في مؤلفات المعاصرين تسميات مثل "مدرسة بغداد" او "نحاة بغداد" او "المذهب البغدادي" او "البغداديين" وهم يعنون بذلك مذهباً نحويّاً خاصاً لاهو بالبصري ولاهو بالكوفي^(١٠٣) انما هو مذهب يقوم على الاطلاع على النحويين والخط بينهما ثم الانتخاب منهما لتكوين آراء خاصة^(١٠٤) وان السبب في نشوء المذهب البغدادي هو تلاقي المذهبيين البصري والكوفي في بغداد على يد شيخين من شيوخها تنافسا على رئاسة النحو في بغداد وعملا على نشر مذهبيها بين الدارسين وهذان الشخان هما ثعلب الكوفي والمبرد والبصري^(١٠٥) وكان اول من تكلم على المذهب البغدادي من الباحثين العرب الاستاذ احمد امين بعد ان تحدث عن المذهب البصري والكوفي فقال "كان التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد سببا في عرض المذهبيين وتقسيمهم او الانتخاب منهما ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة^(١٠٦) وكان الدكتور محيي الدين توفيق ابراهيم من اوائل الباحثين المؤيدين بوجود مذهب بغدادي فيرى انها نشأت في وقت متأخر، والمذهب البغدادي يقوم ايضا على اساس الانتخاب من المذهب البصري والكوفي^(١٠٧) وقال الدكتور علي الساهي " لا يمكن تجاهل المذهب البغدادي مجرد سكن جماعة من النحاة مدينة بغداد وانما ذهب الى تسميتهم بهذا الاسم الى اخذهم الجيد من سبقهم من النحويين^(١٠٨) جاء الاستاذ طه الراوي فاتي بمفهوم جديد عن المذهب البغدادي فهو في رايه مذهب توسع الروايات والابتعاد عن اصول النحو والتباهي في الترخيصات والتفاخر في النوادر حتى ابتعدوا عن اصول

اشياخهم وقد تكون لديهم مذهب انحاز عن مذهب اسلافهم عرف بالمذهب البغدادي^(١٠٩) ورأى الدكتور شوقي ضيف ان المدرسة البغدادية تقوم عن الانتخاب من اراء المدرستين البصرية والكوفية^(١١٠) وقد تقاربتا واندجتا في نهاية القرن الثالث الهجري في مدرسة بغداد التي عني نحاتها بانتخاب مزايا كل من المدرستين البصرية والكوفية^(١١١) ولا يختلف راي المخزومي عن راي شوقي ضيف بوجود مذهب بغدادي إذ قال: "ان طبقة من الدارسين اخذت عن شيوخ المذهبيين فعرفوا المنهجين والمذهب البغدادي ليس الا مذهباً انتخابياً فيه الخصائص المنهجية للمذهبيين جميعاً^(١١٢) اما الدكتور احمد مكي الانصاري فلم يخرج عن راي الأستاذين شوقي ضيف والمخزومي ولكنه عد الفراء هو المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي^(١١٣) ومن الذين قالوا بنشأة المذهب البغدادي دكتور مازن المبارك واحمد مختار وعبد الرحيم^(١١٤)

ومن الذين نفوا وجود مدرسة البغدادية الدكتور عبد الفتاح شلبي فقال: "ان ما ذهب اليه بعض الباحثين من ان هناك مذهباً نحويّاً باسم المذهب البغدادي متميز عن المذهب البصري والكوفي وهو ما كان يراه الاقدمون الاولون من اصحاب التراجم والطبقات^(١١٥) ومن الذين نفوا بوجود مذهب بغدادي الدكتور فاضل السامرائي وقد وضع اسساً خاصة تحدد شخصية المذهب فقال " انه لا يصح اطلاق اسم مذهب الا ان تكون هناك اسس مستقلة واره واضحة محددة والا فهو مذهب اما بصري، واما كوفي^(١١٦) وحدد الدكتور فاضل السامرائي ثلاثة شروط للمذهب فقال: ((يمكن اطلاق اسم مدرسة عليه: من حيث الاسس التي تتبعها في اصول البحث ومن حيث المصطلحات ومن حيث المسائل الخلافية فان استقلت بكل ذلك فهي مدرسة خاصة والا فهي تتبع))^(١١٧)

الخاتمة:

هذا البحث يتحدث عن مدرسة نحوية ثالثة ظهرت على مسرح تاريخ النحو العربي قي بغداد وهي المدرسة البغدادية وقد تحدثت بالمبحث الاول عن نشأة مدينة بغداد وكيف نشأة الدراسات قي بغداد وقد نشأت على أيدي علماء الدراسات الاسلامية ودونت كتب الادب واللغة والنحو قي بغداد وأما المبحث الثاني ذكرت فيه مؤسس المذهب البغدادي وكيف اختلاف العلماء قي ذلك وعن اعلام المذهب البغدادي فقد ذكرت ابن كيسان وتحدثت عن أصله واره النحوية وتحدثت قي المبحث الثالث عن موقف القدماء والمعاصرين من المدرسة البغدادية فبعظهم نفى وجود المدرسة والبعض الاخر اثبت وجودها. أما رأيي قي هذا الموضوع فأن الدراسات النحوية نشأت قي البصرة وبعد ذلك ظهرت قي الكوفة وان المدرسة البغدادية اخذت النحو من المدرسة البصرية

والكوفية وبهذا يتضح لنا بان ليس هناك مدرسة بغدادية قائمة براسها بل هي مدرسة منتخبة من كلا المدرستين البصرية والكوفية وعلى هذا الاساس سميتها انا بالمنهج الجامع في النحو.

الهوامش

- (١) مراحل تطور الدرس النحوي، د. عبدالله حمد الخثران ص ١٤٧
- (٢) المصدر نفسه ص ١٤٧-١٤٨
- (٣) المصدر نفسه ص ١٤٨
- (٤) الايضاح في علل النحو، ابو القاسم الزجاجي ص ١٦
- (٥) المصدر نفسه ص ١٦
- (٦) المصدر نفسه ص ١٦
- (٧) مراحل تطور الدرس النحوي ، عبدالله بن حمد الخثران ص ١٤٨
- (٨) المصدر نفسه ص ١٤٩
- (٩) المصدر نفسه ص ١٤٩-١٥٠
- (١٠) ينظر المدارس النحوية، د. خديجة الحديثة ص ٢٨
- (١١) ينظر المصدر نفسه ص ٢٨
- (١٢) ينظر المصدر نفسه ص ٢٨-٣٠
- (١٣) ينظر النحو العربي مذاهبه وتسيره ، د. مجهد جيجان الدلحي ص ٥٦-٥٧
- (١٤) المدارس النحوية اسطورة وواقع ، د. ابراهيم السامرائي ص ١٧
- (١٥) تاريخ العربية، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ص ١٣-١٤
- (١٦) تاريخ العربية، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ص ١٥
- (١٧) المصدر نفسه ص ١٥
- (١٨) شواهد الحال والبدل والتميز في القرآن الكريم ، محمد عبد الرحمن القيار ص ٨-٩
- (١٩) المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثة ص ١١٣
- (٢٠) المصدر نفسه ص ١١٣-١١٤
- (٢١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د. مهدي المخزومي ص ٦٧
- (٢٢) المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ص ١٥٤
- (٢٣) الوسيط في تاريخ النحو العربي ، عبد الكريم محمد الاسعد ص ٣٧
- (٢٤) مراحل تطور الدرس النحوي، عبدالله بن حمد الخثران ص ٢٢٣
- (٢٥) المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د. محمد حسني محمود ص ٩-١٠
- (٢٦) المصدر نفسه ص ١٠
- (٢٧) المصدر نفسه ص ١٠
- (٢٨) المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د. محمد حسني محمود ص ١٤
- (٢٩) المصدر نفسه ص ١٤

- (٣٠) المصدر نفسه ص ١٤-١٥
- (٣١) المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د .محمد حسني محمود ص ١٥
- (٣٢) المصدر نفسه ص ١٥
- (٣٣) المصدر نفسه ص ١٥-١٦
- (٣٤) الخلاف بين النحويين ، د.رزق الطويل ٥٣٦
- (٣٥) المصدر نفسه ص ٥٣٦
- (٣٦) المدارس النحوية ، دخديجة الحديثي ص ١٩٤
- (٣٧) المدارس النحوية ، دخديجة الحديثي ص ١٩٦
- (٣٨) المصدر نفسه ص ١٩٦
- (٣٩) المصدر نفسه ص ١٩٦
- (٤٠) الخلاف بين النحويين ، د.رزق الطويل ٥٣٧
- (٤١) تاريخ النحو، سعيد الافغاني ص ٩٢
- (٤٢) المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثي ص ١٩٦
- (٤٣) موسوعة النحو والصرف والاعراب ، د. اميل بديع يعقوب ص ٦١٧
- (٤٤) المصدر نفسه ص ٦١٧
- (٤٥) المصدر نفسه ص ٦١٧
- (٤٦) المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ص ٢٤٥
- (٤٧) المصدر نفسه ص ٢٤٥
- (٤٨) المصدر نفسه ص ٢٤٦
- (٤٩) دروس في المذاهب النحوية ، د. عبدة الراجحي ص ١٦٠
- (٥٠) المصدر نفسه ص ١٦٠
- (٥١) المصدر نفسه ص ١٦٠
- (٥٢) القران الكريم واثره في الدراسات اللغوية ، د. عبد العال سالم مكرم ص ١٤٦
- (٥٣) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدلحي ص ١١٨
- (٥٤) المصدر نفسه ص ١١٩
- (٥٥) مراحل تطور الدرس النحوي ، د. عبدالله حمد الخثران ص ١٢٧
- (٥٦) المصدر نفسه ص ١٢٧
- (٥٧) المصدر نفسه ص ١٢٧
- (٥٨) مراحل تطور الدرس النحوي ، د. عبدالله حمد الخثران ص ١٢٧
- (٥٩) المصدر نفسه ص ١٢٨
- (٦٠) المصدر نفسه ص ١٢٨
- (٦١) مراحل تطور الدرس النحوي ، د. عبدالله حمد الخثران ص ١٢٨

- (٦٢) المصدر نفسه ص ١٢٩
(٦٣) المصدر نفسه ص ١٢٩
(٦٤) البحث النحوي في العراق ، مكي نومان مظلوم ص ١٨٦
(٦٥) تاريخ العربية ، د . رشيد عبد الرحمن العبيدي ص ٣٧
(٦٦) المصدر نفسه ص ٣٧
(٦٧) تاريخ العربية ، د . رشيد عبد الرحمن العبيدي ص ٣٧-٣٨
(٦٨) المصدر نفسه ص ٢٨
(٦٩) المصدر نفسه ص ٢٨
(٧٠) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدلحي ص ١٢٥
(٧١) المصدر نفسه ص ١٢٥
(٧٢) المصدر نفسه ص ١٢٥
(٧٣) المدارس النحوية د. شوقي ضيف ص ٢٤٨
(٧٤) المصدر نفسه ص ٢٤٨
(٧٥) المصدر نفسه ص ٢٤٩
(٧٦) المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د . محمود حسني محمود ص ١٨٨
(٧٧) المصدر نفسه ص ١٨٨
(٧٨) المصدر نفسه ص ١٨٨
(٧٩) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدلحي ص ١٢٨
(٨٠) المصدر نفسه ص ١٢٨
(٨١) المصدر نفسه ص ١٢٩
(٨٢) المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د . محمود حسني محمود ص ١٩٢
(٨٣) المصدر نفسه ص ١٩٢
(٨٤) المصدر نفسه ص ١٩٢
(٨٥) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدلحي ص ١٣٠
(٨٦) المصدر نفسه ص ١٣٠
(٨٧) المصدر نفسه ص ١٣٠
(٨٨) المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي ص ٢٠٠
(٨٩) المصدر نفسه ص ٢٠٠
(٩٠) المصدر نفسه ص ٢٠٠
(٩١) مراتب النحويين ، لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ص ٧٤-٧٥
(٩٢) المصدر نفسه ص ١٠١
(٩٣) المصدر نفسه ص ٧٤

- (٩٤) المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثي ص ٢٠٢
- (٩٥) اخبار النحويين البصريين ، ابي سعيد السيراقي ص ٨٠
- (٩٦) المصدر نفسه ص ٨١
- (٩٧) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدليمي ص ١١٢
- (٩٨) المصدر نفسه ص ١١٢
- (٩٩) المصدر نفسه ص ١١٢ - ١١٣
- (١٠٠) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدليمي ص ١١٣
- (١٠١) المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثي ص ٢٠٣
- (١٠٢) المصدر نفسه ص ٢٠٣
- (١٠٣) المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثي ص ٢٠٤
- (١٠٤) المصدر نفسه ص ٢٠٤
- (١٠٥) المصدر نفسه ص ٢٠٤
- (١٠٦) المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثي ص ٢٠٥
- (١٠٧) البحث النحوي في العراق ، مكي نومان مظلوم ص ١١٨
- (١٠٨) المصدر نفسه ص ١٨٨
- (١٠٩) المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، د. محمود حسني محمود ص ٤٨ - ٤٩ .
- (١١٠) المصدر نفسه ص ٤٩
- (١١١) المصدر نفسه ص ٤٩
- (١١٢) النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. مجهد جيجان الدليمي ص ١١٤
- (١١٣) المصدر نفسه ص ١١٤
- (١١٤) المصدر نفسه ص ١١٥
- (١١٥) ابو علي الفارسي ، د. عبد الفتاح اسماعيل الشلبي ص ٤٤٦
- (١١٦) ابن جني النحوي ، د. فاضل السامرائي ص ٢٥١
- (١١٧) المصدر نفسه ص ٢٥١ - ٢٥٢

المصادر والمراجع

- ابن جني النحوي ، د. فاضل السامرائي ، طبع بدار النذير ، بغداد ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ابو علي الفارسي ، د. عبد الفتاح اسماعيل الشلبي ، ط ٣ ، دار المطبوعات الحديثة ، المملكة العربية السعودية جدة ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
- الايضاح في علل النحو ، ابو القاسم الزجاجي ، تحقيق د. مازن المبارك ط ٢ بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٨٣ م
- البحث النحوي في العراق ، مكي نومان مظلوم ، طبع في بغداد ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- تاريخ العربية ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، د. ت. د. ط .
- تاريخ النحو ، سعيد الافغاني ، طبع في بيروت ، د. ت .

- اخبار النحويين البصريين ، ابو سعيد السيراقي ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ، ط ١ ، القاهرة ١٣٤٧ هـ - ١٩٥٥ م
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د.مهدي المخزومي ، طبع ببغداد ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م
- مراحل تطور الدرس النحوي ، د. عبدالله بن حمد الخثران ، طبع الاسكندرية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- مراتب النحويين ، ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، طبع بالقاهرة ١٩٥٤ م
- موسوعة النحو والصرف والاعراب ، د.اميل بديع يعقوب ، ط ٥ ، مطبعة دار السلام ، د.ت.
- النحو العربي مذاهبه وتيسيره ، د. محمد جيجان الدليمي ، طبع في بغداد د.ت.
- الوسيط في تاريخ النحو العربي ، د.عبد الكريم محمد الاسعد ، ط ١ ، دار الاشواق ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م